(١٣)
ماس كهربائي

مع أول بزوغ لشمسِ يومٍ جديدٍ ذهبتْ وعد لصباح في شقتها بعزبة الهجانة .. أوقفتْ سيارتها بعيدا عن البيت في شارعٍ غير شارعها ، وفوجئتْ صباح بطرقٍ على بابها في وقتٍ مبكر .. فتحتْ الباب فدخلتْ وعد بوجهٍ مبتسم غير الذي غادرتْ به مِن عندها آخر مرة ، وبدا على وجه صباح الاندهاش بسبب هذه الزيارة المبكرة ، سألتها وهي لا تزال بالباب :

- أهناك شيء يا وعد؟!
- إن شاء الله خيريا صباح .. جئتُ لأتحدث إلى سالم
- سالم لم يبت عندي الليلة .. يمكنك أن تتصلي به
- هو يغلق تليفونه في وجهي دائما
- اذهبي له إلى محله
- لا أعرف مكانه تحديدا
- سأخبركِ بمكانه

وكان قد طال وقوفها بالباب دون أنْ تطلب منها صباح الدخول ، فسألتها وعد :

- ماذا حدث لكِ يا صباح؟ ! . حتى الآن لم تقولي لي تفضلي

فأشارت لها صباح إشارة اعتذار بسبب سهوها عن ذلك ثم قالت لها :

- آسفة يا حبيبتي .. ادخلي البيت بيتك

تقدمتْ وعد ناحية مقعد جانبي وجلست في حين انصرفت صباح ناحية المطبخ وهي تقول :

- سأحضر لكِ الشاي .. أعرف أنكِ تحبينه

وانتظرتْ وعد بمكانها لم تفارقه ، لكن عينيها راحت تتجول بالمكان وتخترق مداخل كل الأبواب ، وعندما عادت صباح سألتها وعد :

- ما أخبار ابنتك زهرة يا صباح؟ .. لم أرها عندما جئتكِ المرة السابقة

- بخير يا حبيبتي .. هي نائمة في حجرتها .. إنها على وشك أنْ تصحو للذهاب لعملها

- ولماذا لا تعمل مع سالم في المحل؟

- لا يعجبها العمل في الساعات

وابتسمتْ وعد ثم قالت في خبثٍ :

- وماذا تفعلين وحدك بالشقة يا لئيمة بعد نزول زهرة؟

فنظرتْ لها صباح بغضبٍ قائلة :

- أنا الحمد لله أصبحتُ إنسانة أخرى يا وعد

- دائما تفكيرك شمال يا صباح .. أنا لا أقصد ذلك

- إذن ماذا تقصدين؟

- أقصد مع سالم زوجك وليس مع أحد غريب

فقالت بصوتٍ هادىء :

- فعلا سالم يأتيني كثيرا في هذا الوقت

- هنيئا لكِ .. اشبعي به

- طبعا أشبع به .. أليس زوجي حبيبي؟!

- أعرف أنه قد صار لكِ وحدكِ بعد أنْ طلَّق راضية

فتنهدتْ صباح وقالت :

- والله كانت بنت حلال

- صحيح ما أخبارها؟

- راضية ما شاء الله عليها .. تزوجتْ مِن رجل غني وأنجبتْ منه

فقالت وعد على الفور :

- راضية أنجبتْ !! .. اعلمي أنَّ هذا يؤكد أنَّ سالم لا ينجب فعلا

وسكتتْ قليلا ثم قالت لصباح مازحة وهي في الأصل تخيفها :

- ما رأيك أنْ آخذه إلى طبيب ليعرف حقيقتنا .. ويعرف كم ظلم راضية؟

فأسرعتْ صباح تقول في غضب :

- ألن تتوقفي عن ذلك؟

فأجابتها وعد بلهجة أكثر غضبا منها :

- لا لن أتوقف عن ذلك يا صباح .. ألم تقولي إنكِ ذهبتِ للعمرة؟ .. فهلا أكملتِ توبتكِ واعترفتِ له بخديعة السنين؟

وخافت صباح أنْ تستيقظ ابنتها زهرة وتسمع حوارهما ، فقالت صباح لها بصوتٍ منخفضٍ :

- وعد .. ماذا تريدين مني؟ .. لماذا أتيتِ في هذا الوقت؟

- أتيتُ لأعرف متى يأتيكِ سالم لآتي وأتحدث له وأرجوه أنْ يطلقني .. هل فهمتِ؟

فقالت صباح في نبرة هادئة :

- سيأتيني غدا بعد خروج زهرة للعمل

فوقفتْ وعد وأمسكتْ بكتفيها قائلة في ودّ مصطنع :

- صباح يا حبيبتي .. حاولي أنْ تقنعيه معي أنْ يطلقني .. تلك آخر خدمة أريدها منكِ

- حاضر يا وعد

فربتتْ وعد على كتفها بحنانٍ مصطنعٍ ثم قالت :

- عندما يأتي سالم وتشبعان مِن بعضكما .. اتصلي بي دون أنْ يعرف لآتيكِ فورا

- حاضر يا حبيبتي

وأخرجتْ رقما مِن هاتفها ، وقالت لها وهي تبتسم :

- هذا رقمي الجديد .. رني رنتين فقط على هذا الرقم وسآتي فورا

- حاضر يا وعد .. لكن لا تخبري سالم أني وراء مجيئكِ هنا

- لا تقلقي

وفي المساء توقفتْ السيارة الجيب أمام يعقوب بسور الحديقة الدولية .. أطلتْ وعد برأسها منها :

- اركب يا يعقوب

ركب يعقوب منشرح القلب مزهوا بنفسه بوجهٍ مبتسمٍ .. قالت :

- هناك تعديل بسيط يا يعقوب

- أوامرك

- سنقتل شخصين معا مرة واحدة

فضحك يعقوب قائلا :

- لا يهم .. قتل شخص مثل قتل شخصين .. الإثم واحد في الآخرة طالما تلوثت اليد بالدماء

- معكَ حق يا يعقوب

- لكن هناك شيء سيتغير

- ما هو؟

- الثمن سوف يتضاعف .. لكل شخص ثمنه .. مؤكد أنكِ شعرتِ بمدى حبي للمال

- ألم تقل إنَّ قتل شخص مثل قتل شخصين؟

- هذا في العقاب مِن الله .. أما حين الثواب مِن البشر المُحرِّضين فهناك فرق

- عموما .. سأعطيكَ كل ما تريد .. لكن يجب أنْ أخبركَ شيئا

- ما هو؟

- احذر مِن المال وأيضا مِن نظراتكَ المريضة لي .. فغالبا ستكون نهايتكَ بسببهما

فابتسم يعقوب ثم قال :

- عندي سؤال لكِ

- اسأل

- يبدو أنكِ خبيرة في الشر والانتقام .. فلماذا تستعيني بي؟

فضحكتْ وعد قائلة :

- أحتاج منكَ شيئين .. قوتك .. ثم خبرتك في الكهرباء

سألها في دهشة مسرعا :

- مَن أخبركِ عن خبرتي بالكهرباء؟!

- مالك

وأرجع ظهره للخلف في زهو قائلا :

- هذا صحيح .. فأنا خبير في أشياء كثيرة جدا

- لا أريد الآن إلا خبرتك في الكهرباء

- سوف أبهرك

- يعقوب .. أريد أنْ نترك وراءنا جريمة نظيفة .. لا أريد أي شك يحوم حولي

- اطمئني .. لكن فقط أحتاج إلى مزيد مِن المعلومات لأفهم أكثر

- ستفهم كل شيء

وفي الغد في تمام العاشرة اتصلتْ صباح تطلب موتها .. كان اتصالها رنتين ثم أغلقتْ كما طلبتْ منها الغجرية وعد ، فانطلقتْ الشيطانة لعملها ومعها يعقوب الشيطان .. أوقفتْ سيارتها بعيدا كالمعتاد ، ثم جلس يعقوب على مقهى شعبي في شارع بعيد بعد أنْ هذَّب مِن نفسه ولحيته قليلا .

وبالعمارة التي تسكنها صباح صعدتْ وعد درجات السلم وبيدها كيس به الكثير مِن زجاجات عصير المانجو .. طرقتْ الباب ففتحتْ صباح ، وتظاهرتْ بأنها تفاجأتْ بها .. خرج سالم مِن الحمام يرتدي ملابسه الداخلية فقط .. رآها فقال لها بصوتٍ غاضبٍ :

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

قالت له برفق :

- جئتُ لأرى صباح

فقال بنفس غضبه :

- هذا بيتي .. بعد ذلك لا تأتي إلا بإذني

ونظرتْ وعد لصباح تغمز لها أنْ تتركهما ، فانصرفتْ صباح إلى المطبخ ، فاقتربتْ وعد منه قائلة :

- سالم .. هل هانت عليكَ العِشرة؟ .. أرجوكَ لا تعاملني هكذا

- أنتِ مَن طلبتِ الطلاق .. وأنا لن أطلقكِ أبدا

واقتربتْ منه أكثر تهمس بأنوثة :

- ومَن قال إنني أريد الطلاق الآن؟

فقال لها سالم متعجبا وقد خارت قواه :

- هل أنتِ صادقة فيما تقولين؟

فقبلته بوجهه قائلة :

- طبعا يا سالم .. أنا مشتاقة لكَ جدا

فسكت سالم قليلا ثم اقترب منها وقال :

- وأنا أكثر

- إذن ما رأيك أنْ ندخل قليلا أية حجرة لنكون وحدنا؟

- ماذا تقول صباح علينا؟ .. ستفهم كل شيء يا وعد

- أنتَ زوجي حلالي يا سالم .. وأنا زوجتكَ مثلها تماما

- معكِ حق

- إذن سأدخل المطبخ حتى تخبرها

ونادتْ وعد على صباح ، فخرجتْ لها مسرعة فقالت لها :

- صباح جئتُ لكم بعصير مانجو .. سأدخل المطبخ لأصبه لنا

- لكني أعددتُ الشاي مع الكيك

فضحكتْ وعد قائلة وهي تنظر إلى سالم :

- الشاي يحرق الدم .. سالم يحتاج مشروبا ينعشه ويقويه

وانصرفتْ إلى المطبخ وتركتهما فراح سالم يخبرها أنه يريد أنْ يختلي قليلا بوعد ، فقالت باستغراب :

- لا أفهم قصدك

- افهمي يا صباح .. لا تكوني دائما هكذا غبية .. زوج وزوجته يريدان أنْ يختليا .. فهل فهمتِ؟

- فهمتُ يا سالم .. هذا حقكما ولكن .....

وعند ذاك خرجتْ وعد بأكواب عصير المانجو ، فقطعا كلامهما ، وناولتهما وعد العصير مع ابتسامة مصطنعة .. شربا العصير ، وشربت وعد العصير وهم يتحدثون عن الأولاد ، ثم وضع سالم يده على فمه وتثاءب كثيرا ، ومثله صباح ، ثم راحا في نومٍ عميقٍ ، وكان آخر نومهما .

اتصلتْ وعد بيعقوب الأصفر بأنْ رنَّتْ عليه رنتين ثم أغلقتْ ، وشرعتْ بعد ذلك تُفْرِغ بقية العصير في حوض المطبخ ثم غسلتْ الأكواب جيدا ووضعتها بمكانها على الرف .

وجاء يعقوب فحمل سالم كمن يحمل وسادة كبيرة ممتلئة ، ثم وضعه على السرير ، ثم عاد وحمل صباح ووضعها بجانبه ، ثم اتجه سريعا ناحية لوحة مفاتيح الكهرباء ، وذهبتْ وعد وألقتْ عليهما نظرة ، ثم أزالت كل البصمات مِن كل مكان ، وأتمَّ يعقوب كل شيء خاص بالكهرباء بسرعة وخبرة عالية ، ثم غادر الشيطان اللعين بصحبة الشيطانة اللعينة مكان جريمتهما دون أنْ يرياهما أحد .

وما كانت إلا ثلاث ساعات مرَّت حتى رنَّ هاتفُ الشيطانة .. كان ياسين يخبرها وهو يبكي :

- بابا مات
- ماذا تقول؟
- - بابا مات
- مَن أخبركَ؟
- زهرة أختي
- كيف؟
- ماس كهربائي .. احترقت شقة الهجانة
- وزوجته صباح .. أين كانت هي؟
- ماتت معه

وتمَّ دفنُ بقايا الجثتين المحترقتين معا في قبر واحد ، وكان الغجر قديما يدفنون موتاهم في منازلهم أو أمام خيامهم ، وكانوا يحرقون العربة الخاصة بالمتوفى أو المنزل الذي أقام فيه أو هياكل شبيهة ، بل إنَّ السيدات الغجريات كُنَّ يُدْفَنَّ بعد الوفاة بكل الحُلِى الخاص بهن إلا إذا كان للمتوفاة بنتٌ مِن صلبها ترث حليها ، وبالطبع فإنَّ كلَّ ذلك قد تغيَّر حديثا بعد الاختلاط بالمدن والناس ، ولهذا صارت أملاك سالم رغم تواضعها مِن نصيب ياسين وهايدي وزهرة ووعد .

ولم يشك أحد مطلقا في أنَّ الحادث كان سببه شيئا آخر غير الماس الكهربائي ، وكانت الغجرية وعد تسير بالجنازة ترتدي السواد الأشبه بسواد قلبها وضميرها ، وبجانبها أمها ألطاف تصرخ وتبكي وتغمزها أنْ تصنع صنيعها ، وكان ياسين

والبنتان في بكاءٍ مستمر .. يبكون جميعا أبا ليس أباهم ، ويشعرون باليتم بفقدان رجلٍ لا يَمُتُّ لأي منهم بصلة .. عاشوا الحسرة والأسى بسبب شيطانة تُدْعَى وعد .

ولم يمضِ يومان حتى كانت وعد تُنهي إجراءات الميراث .. وزَّعتْ ما تركه سالم .. لم تبخس زهرة حقها حسب الشرع والقانون .. عادلة هي تلك الشيطانة .. أخبرتها أنها لن تتخلى عنها ، ومحظوظةٌ أمها صباح ، ماتت بعد أنْ تابت واهتدتْ إلى الطريق المستقيم ، ومحظوظٌ سالم ذاك الرجل الذي رباها ، مات محترقا مخدوعا وربما تكون الجنة له ، فقد عاش حياته مِن أجل غيره ، وعاش شطرا طويلا مِن عمره يطعم ثلاثة أفواه غريبة عنه تماما ، لكن ما فعلته الغجرية وعد تنهد له الجبال الرواسي .. قال ياسين يوما لها وهو يشعر تجاهها بغضبٍ شديدٍ :

- أظنكِ الآن قد استرحتِ

رمقته بنظرة غضب قائلة :

- أنا حزنتُ مثلك تماما
- أشك في ذلك
- ياسين .. لقد كان أبوك طيبا معي رغم كل شيء
- أبي مات وهو غاضب عليكِ
- اسكت يا ياسين
- عليكِ أن تستغفري ربك
- ياسين .. تأدبْ في الكلام معي
- عندما أراكِ أما صالحة سأتأدب في الكلام معكِ

فصرختْ فيه بغضب :

- ماذا تقصد؟

- أقصد عشيقك المجنون .. فأنا أشعر بالعار مما تفعلينه .. كيف كنتِ تنامين مع رجلٍ وأنتِ على ذمة رجل غيره؟ .. أنتِ لستِ فقط متسولة .. بل أنتِ عاهرة زانية

وصفعته وعد على وجهه وهي تقول :

- اخرس يا كلب .. المتسولة الزانية هي مَن تطعمك وتسقيك وتعلمك في أغلى المدارس .. هل كنتَ تظن أنَّ الملاليم التي يرسلها لك سالم خلال كل شهر تكفى ثمن حذاء لك أو لأختك؟

فقال ياسين بغضبٍ شديد وهو يضع يده على وجهه :

- إياكِ أنْ تضربيني مرة ثانية .. لا تنسي أني تربية شوارع وحواري منشية ناصر.. لا يغرنكِ أننا الآن نعيش بالرحاب

- أنا مَن أسكنتك بالرحاب يا كلب

- لا أريدها .. منشية ناصر كانت أفضل عندي

- كان يجب أنْ أتركك فيها لتعيش خارج حدود الزمن .. لكن اعلم أنني قد أُرْجِعُكَ إليها إنْ تعاملتَ معي هكذا مرة ثانية

فنظر لها ياسين باشمئزاز ثم قال :

- هيا هيا اذهبي إلى المجنون لتخبريه أنَّ زوجكِ قد مات

فقالت بكل تحدٍّ : طبعا سأذهب له .. أنا حرة .. وسنتزوج

فهزَّ رأسه ثم قال وتركها مسرعا إلى حجرته :

- لو كنتُ مكانه ما تزوجتكِ

- ماذا تقصد؟

لم يرد ، وكان قد دخل الحجرة وأغلقها عليه .